قراءة تاريخية في اهتمام الإمام فيصل بن تركي آل سعود بعلماء الأحساء ١٢٥٩-١٢٨٢هـ/١٨٤٣-١٨٦٥م(*)

د. علي بن حسين البسام
قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الملك فيصل

يعد الإمام فيصل بن تركي آل سعود - رحمه الله - من قادة الدولة السعودية الثانية البارزين، الذين حكموا لفترتين زمنيتين مختلفتين؛ الأولى كانت خلال الفترة (١٢٥٠-١٢٥٤هـ/ ١٨٣٤-١٨٣٨م)، وأما الثانية فكانت خلال الفترة (١٢٥٩-١٢٨٢هـ/ ١٨٤٣-١٨٦٥م)، وعلى الرغم من المشاكل السياسية الداخلية العديدة التي واجهها الإمام خلال فترة حكمه الثانية إلا أنه وقف أمامها كالطود الشامخ وقابلها بكل

(قدم للنشر في ١٤٣٢/١/٢٧هـ، وقبل للنشر في ١٤٣٣/٧/١٦هـ).

(*) يدين الباحث بالشكر والعرفان لكل من الشيخ عبدالرحمن بن أحمد آل عبداللطيف، والشيخ عبدالعزيز بن أحمد العصفور، والمهندس صالح بن عبدالمحسن العبدالقادر، والدكتور عبدالإله بن محمد الملا، والشيخ حسن بن عبدالرحمن الحسين، والأستاذ حمد بن عبدالله العنقري، والأستاذ علي بن سالم الصيخان، الذين زودوا الباحث ببعض الوثائق المحلية المهمة، والتي عادت على البحث بالفائدة العميمة.

شجاعة وحزم[١]، وأقام دولته على أسس العدل، فجمع بين سياسة الشدة واللين، وتميز عهده بالأمن والأمان، وبسط هيبة الدولة ومد نفوذها من جديد في فترة حكمه الثانية، فدانت له البلدان والعربان في المناطق الوسطى والشرقية من الجزيرة العربية، وأجزاء من عُمان[٢]. وأثّرت سياسته الحازمة في دعم الاستقرار في مناحي الحياة المختلفة في الدولة السعودية الثانية، والتي كانت الحياة العلمية والثقافية واحدة منها؛ والتي كانت لا تتعدى - بطبيعة الحال - العلوم الشرعية: من تعليم القرآن الكريم، والتوحيد، والفقه، وبعض علوم الآلة، إلى جانب الدراسة الأولية: كالقراءة، والكتابة؛ فالحركة العلمية كانت موجودة بصورة جيدة نسبيًا[٣].

وجاءت هذه الدراسة نتيجة لعدم وجود أي دراسة علمية جادة وشاملة ومتكاملة تستكشف ذلك المنحى المهم والجليل من تاريخ الدولة السعودية الثانية، إلا بعض الإشارات البسيطة المبعثرة هنا وهناك، والتي قد لا تعطي في مجملها انطباعًا حقيقيًا عن واقع الحياة العلمية والدعوية فيها، ولا عن اهتمام الإمام فيصل بالعلم والعلماء، وحرصه على تبليغ الدعوة الإصلاحية خلال فترة حكمه، ولعل أحد الباحثين

(١) عبدالله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١٢، ١٤٢٤هـ، ١/ ٢٨٣-٢٩٧.

(٢) عثمان بن بشر النجدي، عنوان المجد في تاريخ نجد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د. ت، ٢/ ٨-٩. والعقيد لويس بيلي، رحلة إلى الرياض والأوراق الخاصة، ترجمة: عيسى أمين، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر، المنامة، ١٩٩٦م، ص٩، ٢٠.

(٣) عبدالفتاح حسن أبو علية، تاريخ الدولة السعودية الثانية، ط ٤، دار المريخ، الرياض، ١٤١١هـ، ص٣١٥-٣١٨. العثيمين، المرجع السابق، ١/ ٣٤٣.

يتجشم بذل الجهد والعناء في سبيل البحث عن تلك الفترة المشرقة من تاريخنا، ويتناولها بدراسة شاملة علمية ووافية.

وتأتي هذه الدراسة لتؤكد أن اهتمام الإمام فيصل بالعلم وأهله وحرصه على دعم الحياة العلمية في مختلف أرجاء البلاد، ما جاء من فراغ؛ وإنما جاء لتأثير كتاب الله عزّ وجل، الذي كان يحفظه بين جنبيه وفي نشأته وتربيته، فانعكس ذلك إيجابًا على الحرص بنشر العلم والدعوة إليه(٤)، وبدا ذلك واضحًا من خلال مجالسه العلمية، ومراسلاته، ولقاءاته المختلفة مع العلماء والمشايخ وطلاب العلم، ومن خلال ما كان يؤيده لبعض فتاوى العلماء من شتى المذاهب الفقهية، ودعم حكمها في بعض المسائل الفقهية المهمة، وتعميم العمل بموجبها لما فيه مصلحة البلاد والعباد، الذي - في رأيي - يعد انفتاحًا منه على المذاهب الفقهية المختلفة، فعلى سبيل المثال، نجد له تعضيدًا مكتوبًا لمسألة فقهية، وهي سقي الأرض ولو أضر بالبعض، والتي أفتى فيها الشيخ عبدالله بن عمير الشافعي الأحسائي(٥)، والشيخ محمد آل عبدالقادر

(٤) عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، د. ن، الرياض، ١٤٢٠هـ، ١٦/ ٣٩٩-٤٠٠.

(٥) هو القاضي الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن عمير الشافعي، ولد في حي الكوت بالأحساء، ونشأ في بيت علم وفضل، درس العلم على يد الشيخ أبي بكر الملا الحنفي، والشيخ محمد بن عثمان الشافعي، تولى القضاء والإفتاء في محلة النعاثل وله مشاركة في التأليف، وتشير الوثائق المحلية التي اطلع عليها الباحث أن الشيخ عبدالله ابن عمير كان قاضيًا منذ سنة ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م، وتوفي سنة ١٢٨١هـ/١٨٦٤م. انظر: عبدالعزيز بن أحمد العصفور، فتاوى علماء الأحساء ومسائلهم، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ٢٠٠١م، ٢/ ٥٥١.

الشافعي الأحسائي[٦]، والشيخ عبدالله أبابطين الحنبلي[٧] مفتي الديار النجدية، وكتب على هذه الفتاوى قوله: "من فيصل بن تركي إلى من يراه، السلام، بعدها المذكور باطنه عليه كتب المشايخ فلا يعارض فيه والسلام ٣جمادى الأول ١٢٦٠هـ"، ثم ختم بختمه "فيصل بأمر الله"[٨]. بل حرص الإمام فيصل - رحمه الله - على طلب العلم حتى في غزواته

(٦) هو القاضي الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالله آل عبدالقادر، ولد سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م، في مدينة المبرز، وفيها نشأ وترعرع، وأرسله والده إلى الدرعية، فقرأ على يد الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب علم الأصول والعقيدة السلفية، ومكث فيها ثلاث سنين، ثم عاد إلى الأحساء، وأخذ عن والده الفقه الشافعي، وعلم اللغة العربية عن الشيخ أحمد بن غنام المالكي، وعلم الفرائض عن الشيخ رشيد الحنبلي، وتصدى للتعليم فقصده الطلاب من أهل فارس وعُمان واليمن، وتولى القضاء في عهد الإمام فيصل بن تركي في بلدة المبرز، واشتهر عند علماء الأحساء بلقب: "سحبان بن وائل"، لفصاحته وذكائه، توفي رحمه الله سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م. انظر: محمد بن عبدالله العبدالقادر، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، ط ٢، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٢هـ، ص٣٦٢-٣٦٣.

(٧) هو العلامة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين، ولد في روضة سدير سنة ١١٩٤هـ/١٧٨٠م، نشأ بها وطلب العلم على يد قاضيها الشيخ محمد بن طراد الدوسري، ثم ارتحل إلى شقراء ودرس العلم على يد قاضيها الشيخ عبدالعزيز الحصين، ثم رحل إلى الدرعية وأخذ عن علمائها، ونبغ في العلم وتولى القضاء في عهد الدولة السعودية الأولى في الطائف، ثم عمان، وفي عهد الدولة السعودية الثانية ولي القضاء في إقليم الوشم وسدير، ثم عنيزة بالقصيم، وترك القضاء سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م، واستقر به المقام في شقراء للتدريس والإفتاء، واستفاد منه خلق كثير، وتوفي فيها سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م. انظر: عبدالله بن عبدالرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ط٢، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ، ٤/ ٢٢٥-٢٤٤.

(٨) العصفور، المرجع السابق، ١/ ٦٤-٦٥.

الحربية وفي سفره وترحاله، والشواهد على ذلك كثيرة، منها ما أشار إليه المؤرخ عثمان ابن بشر في سنة ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م بقوله: "وحضرت مجتمعهم بعد صلاة العصر في صيوان الإمام. وكان المتصدي للتدريس الشيخ عبدالرحمن بن حسن[٩] والقارئ عليه ابن عمه عبدالله بن حسن بن حسين[١٠]، فقرأ

(٩) هو العلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، ولد في الدرعية سنة ١١٩٣هـ/ ١٧٩٩م، وبها ونشأ وعاش في كنف جده الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وحفظ القرآن في التاسعة من عمره، ثم لازم دروس العلم وحلق الذكر، فقرأ على جده، وعلى علماء الدرعية كالشيخ حمد بن معمر وعمه الشيخ عبدالله بن محمد، وقرأ النحو على الشيخ حسين بن غنام، وغيرهم، تولى القضاء والتدريس في الدرعية في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد، وابنه الإمام عبدالله بن سعود واستمر في ذلك حتى مهاجمة جيوش محمد علي باشا للدولة السعودية، فهب للدفاع والمشاركة مع جيوش الدولة ضد الغزاة حتى سقوط الدرعية على يد إبراهيم بن محمد علي باشا، فنقل إلى مصر سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م، وبقي في مصر ثماني سنوات قرأ خلالها على أكابر علمائها، كالعالم الشيخ حسن القوسيني والعلامة محمد بن محمود الجزائري الحنفي مفتي الجزائر، والشيخ إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر في حينه، وغيرهم، ورجع إلى نجد سنة ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م بعدما استتب الأمر فيها للإمام تركي بن عبدالله آل سعود، الذي حثه على العودة فكان مؤازرًا وداعمًا له في نشر الدعوة الإصلاحية، وقد تتلمذ على يديه خلق كثير، وله عدة مؤلفات، توفي رحمه الله سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٩م. انظر: عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ، مشاهير علماء نجد وغيرهم، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط٢، الرياض، ١٣٩٤هـ، ص ٧٨-٨٦.

(١٠) هو الشيخ العالم عبدالله بن حسن بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، ولد قبل سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م في الرياض، ونشأ وتتلمذ على علمائها وعلى رأسهم الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، تولى القضاء في عهد الإمام فيصل بن تركي في بلدة منفوحة. ولا توجد معلومات وافية عن تاريخ وفاته. انظر: محمد بن عبدالرحمن العوين، علماء آل الشيخ ذرية شيخ الإسلام، ١٤٣١هـ، ١/ ٤٨٧-٤٨٨.

في كتاب السياسة الشرعية للشيخ ابن تيمية"[١١]. ولعل القارئ يتلمس من الوثيقة المحلية الآتية تأكيدًا لرأينا في مدى سعة اطلاع الإمام فيصل - رحمه الله - بالعلم وإدراكه للأحكام الشرعية، بل والعمل بمقتضاها في حكمه، ففي معرض جوابه على رسالة الشيخ جابر الصباح[١٢]، التي جاء فيها: "من فيصل بن تركي السعود إلى جناب عالي جناب الأمجد الأشيم جابر الصباح سلمه الله.. وكتابك وصل وصلك الله إلى خير وما ذكر منه من حال ولد ابن جيران أنه مات عن أخت وعاصب وهو شايع ولد خشرم الجيران، فكل ما ذكره في دعوا المذكورين فهمناه بالحرف الواحد وكله رضا ولا يخفى على جناب المحب أن الحقائق التي تثبتها الشريعة المطهرة من إرث أو عصب ولاّ دين على الميت نمضيه ونعمل بمقتضاه بحول الله وقوته، والآن هذا جوابنا إلى الوكيل صالح بن راشد[١٣]"[١٤].

(١١) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ١١٢-١١٣.

(١٢) هو الشيخ جابر بن عبدالله الصباح، تولى مشيخة الكويت أكثر من خمس وأربعين سنة من ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م، حتى وفاته ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م، وقد اتصف بأنه حسن العقيدة، وبقوة الإرادة وبعد النظر والشجاعة والسخاء والكرم حتى سمي "جابر العيش". انظر: حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي، توزيع دار ومكتبة الهلال، د. ن، ١٩٦٢م، ١/ ٧٢.

(١٣) صالح بن راشد هو من أسرة الراشد في مدينة المبرز من آل عمران من فخذ السبعة من قبيلة عنزة، تولى العمل كوكيل بيت المال في الأحساء في عهد الإمام فيصل بن تركي. انظر: حمد بن إبراهيم الحقيل، كنز الأنساب ومجمع الآداب، ط ١٤، الدار الوطنية السعودية، الرياض، ١٤٢٢هـ، ص ٨٨. عبدالله بن ناصر السبيعي، القضاء والأوقاف في الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨-١٣٣١هـ/ ١٨٧١- ١٩١٣م دراسة وثائقية، مطابع الجمعة الإلكترونية، الرياض، ١٤٢٠هـ، ٥/ ١٦٨.

(١٤) وثيقة محلية غير منشورة: وهي عبارة عن رسالة جوابية من =

والحقيقة أن الإمام فيصل سلك مسلك من سبقه من أئمة آل سعود في تقدير العلم والعلماء، والدعوة إلى عقيدة التوحيد التي كان عليها سلف الأمة. والمتتبع لمعظم رسائله الخاصة والعامة خلال فترة حكمه الثانية، وحسب ما توافر لدى الباحث، يجدها تنحى منحى الحث على إبلاغ الدعوة ونشر العقيدة التي كان عليها سلف هذه الأمة، بأسلوب المحاورة والمناصحة للمخالفين(١٥). إضافة إلى ما ذكره عدد من المؤرخين المعاصرين ومن غيرهم، الذين يؤكدون مثل هذا الرأي من تكريمه للعلم والعلماء، كالشيخ عثمان ابن بشر المعاصر له والذي قال عنه: "وتوفرت بحسن سيرته مصالح المسلمين وجمع في سياسته بين الشدة واللين.. كان مكرمًا لحملة القرآن والعلماء، رحيمًا بالأرامل والفقراء والضعفاء"(١٦). والألوسي بقوله عنه: "جمع في سياسته بين الشدة واللين، وكثرت عطاياه، وكان كثير الإكرام لأهل العلم وحملة القرآن"(١٧). وكذلك مؤرخ الأحساء الشيخ محمد العبدالقادر الذي قال عنه: "كان رحمه الله تعالى؛ إمامًا عادلاً حليمًا مهابًا وافر العقل، حسن السيرة، عطوفًا على الرعية، محبًا للعلماء، وأهل الصلاح، كثير الصدقة والبر

= الإمام فيصل بن تركي إلى شيخ الكويت الشيخ جابر الصباح في ٢٧ المحرم ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م، زودني بها الأخ الأستاذ حمد بن عبدالله العنقري. انظر: الملحق رقم (١).

(١٥) ابن قاسم، المرجع السابق، ١/ ٣٢٣-٣٢٥.

(١٦) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ٩.

(١٧) محمود الألوسي، تاريخ نجد، تحقيق: محمد بهجة الأثري، مكتبة مدبولي، القاهرة، د. ت، ص٩٦.

بالفقراء واليتامى"[١٨]. وقد مدحه العالم الشيخ أحمد بن علي بن مشرف المالكي[١٩] قاضي الأحساء في عهده بأكثر من خمس وعشرين قصيدة، ولعل هذه الأبيات الشعرية تؤكد ما ذهب إليه كثير من المؤرخين من حالة استتباب الأمن في البلاد، وشيوع العدل في عهده، ودعمه للعلم وتقديره لأهله، حيث يقول:

فأضحت بك الأيام غرا ضواحكا
وأمست ليالي الشهر كالبيض بالبدر
رفعت لأعلام الشريعة في القرى
وحكمت حكم الشرع في البدو والحضر
وصيرت للعلم الشريف محافلا
أحاديث ترويها الرواة عن الخدر
لئن آمنت نجد بملكك وازدهت
فقد فخر الأحساء به وقرى هجر[٢٠]

(١٨) العبدالقادر، المرجع السابق، ص١٦٥.

(١٩) هو القاضي أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهبي التميمي، ولد بالأحساء، وهو فقيه مالكي، ومحدث متقن، سلفي المعتقد والمنهج، أخذ العلم عن جماعة من العلماء، منهم الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام المالكي، والشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، وغيرهم، تولى القضاء أواخر عهد الإمام فيصل، وتوفي سنة ١٢٨٥هـ. انظر: العبدالقادر، المرجع السابق، ص ٤٠١- ٤٠٣. وعبدالله بن عيسى الذرمان، مظاهر الحركة العلمية في الأحساء خلال ثلاث قرون، د، ن، د، م، ١٤٢٢هـ، ص٩١.

(٢٠) عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، ديوان الإمام أحمد بن علي بن مشرف، دار إحياء التراث الإسلامي، الدوحة، ١٩٨٦م، ص٦٨.

ونسوغ هنا ما يدلل على اهتمام الإمام فيصل بن تركي بالعلماء في شتى أرجاء البلاد وحرصه على نشر الدعوة الإصلاحية، وأنه لم يكن اهتمامه قاصرًا على العلماء في نجد فحسب، بل شمل جميع علماء البلد[٢١]، ومنهم علماء الأحساء مقصد الدراسة، فلقد استوقفت الباحث بعض الوثائق التاريخية المحلية، التي تناولت في مضامينها صورًا من حرصه واهتمامه بالنواحي العلمية والدعوية في الأحساء. وكما هو معلوم فإن الأحساء اشتهرت عبر تاريخها بكثرة مدارسها العلمية الشرعية المتنوعة، والتي تنتمي إلى شتى المذاهب الفقهية المختلفة، وفاق عددها ثلاثين مدرسة علمية، انتشرت في مدينتي الهفوف والمبرز، والتي أسهم الميسورون من أهل الخير - في الأحساء، ومن خارجها - بتشييد تلك المدارس، وأوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة المنتجة من مزارع نخيل وحبوب[٢٢]، وبعض تلك المدارس موغل في القدم منذ العهد العثماني الأول في الأحساء[٢٣]، وبعضها منذ أيام حكم دولة بني خالد، وبعضها الثالث معاصر للدولة السعودية في دوريها الأول والثاني، فليس بمستغرب أن ينال أهل العلم في الأحساء كل التقدير والاحترام والتعاطف من

(٢١) ابن قاسم، المرجع السابق، ٢/ ٢٨١.

(٢٢) عبدالله بن ناصر السبيعي، الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية ١٣٥٠-١٣٨٠هـ، د. ن، د. م، ١٤٠٧ هـ، ص٢٠، ٣٥، ٣٨. الذرمان، المرجع السابق، ص١٨-١٩، ٤٠-٥٠.

(٢٣) علي بن حسين البسام، "صور من الآثار العلمية العثمانية في ولاية الحسا ٩٥٧-١٠٤٧هـ/١٥٥٠-١٦٣٧م"، بحث قيد النشر بالجمعية التاريخية التركية بإسطنبول، ٢٠٠٩م.

الإمام فيصل، الذي اشتهر عنه محبته لأهل العلم والصلاح وتكريمه إياهم، وبذل النصح والتوجيه لهم، الأمر الذي شجعني لمعرفة حقيقة تلك المواقف النبيلة، ومدى تأثيرها العلمي والدعوي في الأحساء، فجاءت هذه القراءة التاريخية.

اهتمام الإمام فيصل بنشر الدعوة الإصلاحية:

ظهر حرص الإمام فيصل بن تركي على نشر الدعوة الإصلاحية في الأحساء، في الرسالة العامة، التي وجهها الإمام لأهل الأحساء، وخص فيها العلماء من المدرسين والأئمة، وقد اشتملت على توجيهات ونصائح عامة لهم(٢٤)، ونصها: "من فيصل بن تركي إلى من يصل إليه هذا الكتاب من أهل الأحساء وغيرهم من الأئمة والمدرسين ومن له رغبة في قبول العلم بأصل الدين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فاعلموا وفقنا الله وإياكم لمعرفة الحق وقبوله أن أعلى الهمم ما تعلق بالعلي الأعلى، وأوسطها ما تعلق بمصالح العباد، وهي همم الرسل وورثتهم، وهو معنى ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: الدين النصيحة ثلاثًا، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم(٢٥)، وأحق ذلك وأوجبه معرفة ما خلق الله

(٢٤) هذه الرسالة إحدى الرسائل العامة التي كان يرسلها الإمام فيصل بن تركي، وبعض علماء الدعوة الإصلاحية للبلدان داخل الدولة السعودية، بصفة شبه دورية بهدف النصح والتوجيه للعامة والخاصة. انظر: ابن قاسم، المرجع السابق، ١٤/ ١٣٤، ١٤٤، ١٥٠.

(٢٥) هذا الحديث من رواية تميم الداري، رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الإيمان)، باب: بيان أن الدين النصيحة، برقم (٥٥).

له عباده إنسهم وجنهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فأخبر تعالى أنه خلقهم ليعبدوه وحده لا شريك له، ففعل بهم الأول وهو خلقهم، ليفعلوا هم الثاني(٢٦)، وهو عبادتهم لمن خلقهم ورزقهم، وبهذا بعث الله جميع رسله كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾ [النحل: ٣٦]، وهذه الآية تبين معنى الآية التي قبلها وترفع ما أشكل منها، والطاغوت ما عبد من دون الله، كما قال الإمام مالك وغيره من العلماء رحمهم الله تعالى، وكل رسول بعثه الله تعالى يستفتح دعوته بهذا التوحيد، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥]، فردوا عليه بقولهم: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير، وهي تبين معنى لا إله إلا الله، وهو الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والبراءة من عبادة كل ما سواه، وبين تعالى أنه أنزل كتابه بهذا التوحيد كما قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾ [هود: ١ - ٢]، ومعنى

(٢٦) انظر: تفسير الآية في: أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ، ٤/ ٢١٣.

قوله أن لا تعبدوا هو معنى لا إله، ومعنى إلا الله هو المستثنى في كلمة الإخلاص، كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، وقال: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ [الزمر: ١٤ - ١٥]، فتضمنت هذه الآيات إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى، والنهي عن عبادة ما سواه، وهذا هو دينه الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، كما تقدم، وهو الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه، وهو الذي دعا إليه محمد رسول الله ﷺ قومه وغيرهم، فقال لهم: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا[٢٧]، فأجاب من أجاب ورد من رد فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، عرفوا أن قوله لهم: قولوا لا إله إلا الله، يتضمن ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله، فعرفوا من معنى هذه الكلمة ما لم يعرفه كثير ممن تأخر من هذه الأمة ولم يعرفوا أن الإله هو المعبود، وأن المعني بهذه الكلمة عبادة ما كان يعبده المشركون، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، فعرفوا من هذه الكلمة أنه دعاهم بهذه الكلمة إلى ترك عبادة آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فعند ذلك، وبه وقعت العداوة بينهم وبين النبي ﷺ، وشرع الله الهجرة وشرع الجهاد على هذا التوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، والفتنة الشرك، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ

(٢٧) هذا حديث من رواية ربيعة بن عباد الليلي، أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٥٤٤٨)، وابن حبان في صحيحه.

وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، أي تابوا من الشرك، وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يدعوا أهل الكتاب إلى التوحيد، كما دعا إليه مشركي العرب فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ففي هذه الآية فوائد منها: أنه عبر عن هذه الكلمة بالمعنى فقال أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا، وفيها أن من عبد مع الله غيره فقد اتخذه ربًّا، ومنها أن هذا التوحيد هو حقيقة دين الإسلام، وهو الشرط في صحة الفرائض وغيرها من الأعمال وقبولها فلا يصح عمل ولا يقبل إلا بهذا التوحيد، وقد شرح الله به صدر من منّ الله عليه في آخر هذا الزمان، لما عبدت الأوثان واتخذت أربابًا من دون الله، فدعا إلى هذا التوحيد كما دعا إليه رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده، وجاهدوا عليه كما جاهدوا، كما قال ﷺ: بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبدالله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم[٢٨]، فهذا الدين هو الذي ننصحكم به ونوصيكم به فمن عرف ذلك وحققه وقبله وأقبل على تعلمه وتعليمه

(٢٨) هذا حديث من رواية عبدالله بن عمر، رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢٢٥٧٢)، وفي إسناده ضعف. وللعلماء رأي جيد في مسالة الاستئناس بالأحاديث الضعيفة في الوعظ، ولو كان في سندها ضعف.

وانشرح له صدره فقد هدي إلى صراط مستقيم، ومن لم يفهم ذلك فليبك على نفسه، وليعلم أنه أصيب بمصيبة لم يصب أحد بأعظم منها نسأل الله لنا ولكم معرفة الحق وقبوله والاستقامة عليه علمًا وعملاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيد المرسلين وإمام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا"(٢٩).

ولم يكتفِ الإمام فيصل بن تركي بالرسائل الدعوية فقط، بل أرسل أحد أبرز مشايخ الدعوة إلى الأحساء، وهو الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ إلى الأحساء عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م، الذي اشتهر بغزارة العلم وسعة الاطلاع وقوة الحجة، وذلك لمقابلة علمائها ومناظرتهم لقبول الدعوة الإصلاحية، وإزالة ما قد يعلق في النفوس من أفكار وآراء غير صحيحة عن الدعوة الإصلاحية، ومحاولة منه لتقريب وجهات النظر فيما بينهما، وقد مكث في الأحساء مدة سنتين ثم رجع إلى بلده(٣٠).

وتأسيسًا على ما سبق يمكننا القول إن الإمام فيصل اهتم بالتأكيد على العلماء والمشايخ بضرورة التمسك بالعقيدة

(٢٩) وثيقة تاريخية محلية غير منشورة، وهي رسالة موجهة لأهل الأحساء وغير مؤرخة ولا مختومة، وهي نسخة منقولة من النسخة الأصلية، زودني بها الشيخ عبدالعزيز بن أحمد العصفور، انظر: الملحق رقم (٢).

(٣٠) آل الشيخ، المرجع السابق، ص٩٥. وعبدالله بن محمد المطوع، الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ط٩، دار التدمرية، الرياض، ١٤٣١هـ، ص٢٤٠.

الإسلامية وتبليغها لعوام الناس في المساجد والمدارس والمجالس العامة، فبصلاحها يصلح المجتمع الإسلامي. كما أن النصيحة تبذل من العلماء غالبًا لحكام المسلمين وعامتهم، إلا أن الإمام فيصل لم يكتف بذلك؛ بل مارس مهام النصح بنفسه لرعيته؛ مما يدل على استشعاره مسؤوليته كحاكم أمام الله عز وجل قبل محكوميه.

وفي رسالته السابقة يستشعر القارئ أن الإمام فيصل في تركيزه وحرصه على التمسك بالتوحيد، إنما يركز على محور التقاء المذاهب الإسلامية مهما اختلفت مذاهبها، وتنوعت مشاربها، فالخلاف في الفروع سائغ ما دام الأصل واحد، وهو التوحيد والعقيدة. ثم أن الإمام فيصل بن تركي عندما أرسل الرسالة، التي هي إحدى الرسائل الدعوية الصادقة، سار بذلك على نهج من سبقه من أئمة آل سعود في إبلاغ الدعوة الإصلاحية لعموم الناس، وفي مختلف مناطق البلاد، وذلك بعد أن تعد ويقرها وترسل باسمه. وهذا الحرص الذي أبداه الإمام فيصل لأهل الأحساء، وما كان يراه منهم بأنهم أهل علم ودراية، ولديه علم بطبيعة التركيبة الاجتماعية، والتنوع المذهبي والفكري في الأحساء، لذا أرسل إليهم الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ليحاورهم ويناظرهم، وذلك لما للشيخ من مكانة علمية مرموقة لديهم وليقرب من وجهات النظر بين الطرفين.

تكريم الإمام فيصل بن تركي للعلماء:

أظهر الإمام فيصل أثناء فترة حكمه الثاني تكريمًا وتقديرًا للعلم والعلماء في الأحساء واعتناءً بهم، وحرصًا عليهم

وتلمسًا لاحتياجاتهم، وإنزالهم منازلهم المناسبة، والاستفادة من علمهم الغزير، واستشارتهم وإمضاء حكمهم، وهو ما جرت عليه الدولة السعودية منذ نشأتها، ومن ذلك أن الإمام فيصل أقرّ أبرز قضاة الأحساء، كالشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن عمير الشافعي، والشيخ محمد بن عبدالله العبدالقادر الشافعي، والشيخ عبدالله بن نعيم الشافعي[٣١]. كما عرض على العالم الشيخ عبداللطيف بن مبارك المالكي الأحسائي[٣٢] تولي منصب القضاء في الأحساء، إلا أن الشيخ اعتذر عن قبوله، ولكن أمام إلحاح الإمام فيصل والشيخ عبدالرحمن بن حسن، قبل تولي منصب القضاء، فصارت إدارة شؤون الأمور الدينية في الأحساء موكلة إليه[٣٣].

(٣١) هو القاضي الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن خليفة بن نعيم الشافعي، تتلمذ على يد والده العلامة عبداللطيف، وجده، وعلى عدد من علماء عصره، وتشير الوثائق المحلية التي اطلع عليها الباحث إلى أنه تولى القضاء في الأحساء منذ سنة ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م. انظر: علي بن حسين البسام، "قضاة الدولة السعودية الثانية في الأحساء "، محاضرات فعاليات سوق هجر التراثي لعام ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(٣٢) هو القاضي الشيخ عبداللطيف بن مبارك بن علي بن حمد التميمي، أصغر أبناء الشيخ مبارك، تولى التدريس في مدارس والده، ودرس على يديه خلق كثير، منهم ابنه عبدالله وقاضي البحرين الشيخ قاسم بن مهزع، وتولى القضاء على ما يبدو منذ عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م حتى عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م، وتوفي سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م. مبارك بن علي بن حمد التميمي، تسهيل المسالك إلى هداية السالك إلى مذهب الإمام مالك، تحقيق عبدالحميد بن مبارك آل الشيخ مبارك، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ١٤١٥هـ، ١/ ٦١.

(٣٣) البسام، المرجع السابق، ٣/ ٥٦٥.

وممن من نال تقدير الإمام فيصل واحترامه العالم الأحسائي الشيخ أبو بكر الملا الحنفي[٣٤]، والذي بلغ شهرة واسعة في عصره، وعرف عنه أنه ذو سياسة، وعقل رصين، وكان مسموع الكلمة لدى العامة والخاصة وولاة الأمر[٣٥]. فقد ذكر لي الأستاذ محمد ابن الشيخ أحمد الملا رواية شفوية في هذا الشأن قوله: "إنه لما أراد العالم أبو بكر بن الشيخ محمد بن الشيخ عمر الملا الحنفي الأحسائي الحج انطلق من الأحساء في شهر جمادى الآخر من سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م، ومرّ في طريقه بالرياض، فقصد الإمام فيصل بن تركي، فاستقبله استقبالاً حافلاً، واحتفى به كثيرًا، وأسكنه في أحد المنازل القريبة من قصره، وكان الشيخ أبو بكر يحضر مجلس الإمام فيصل، وبحضور جمع من العلماء

(٣٤) هو الشيخ أبو بكر بن محمد بن عمر الملا الحنفي الأحسائي، ولد في ٢ ربيع الثاني ١١٩٨هـ/ ١٧٨٤م، نشأ وتربى في كنف والدته، فحفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين، واجتهد في طلب العلم والتحصيل فأخذ عن علماء بلده وعصره، منهم عماه الشيخ عبدالرحمن والشيخ أحمد، ودرس الفقه الحنفي على يد الشيخ حسين بن أبي بكر الأحسائي، والفرائض والنحو والعلوم العربية على يد الشيخ عبدالله بن أحمد الجعفري، وغيرهم، نبغ في العلم حتى أصبح مقصدًا لطلاب العلم من خارج الأحساء، فتتلمذ على يده العشرات منها ومن خارجها، له العشرات من المؤلفات والشروح والنظم والتلخيصات في مختلف النواحي العلمية، وقد اتصف بالزهد والورع، توفي رحمه الله في مكة المكرمة سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م ودفن بمقبرة المعلاة. عبدالله بن أبو بكر بن محمد بن عمر الملا، بغية السائلين عن ترجمة خاتمة المتأخرين، ١٣٠٤هـ، د. م، ص١-٢.

(٣٥) أبو بكر بن الشيخ محمد بن عمر الملا الحنفي، هداية المحتذي لشمائل الترمذي، تحقيق: يحيى بن محمد بن أبي بكر الملا، مكتبة التعاون الثقافي، الأحساء، ١٤٢٤هـ، ١/ ٣٩.

والمشايخ، ومن أبرزهم الشيخ عبدالرحمن بن حسن، وابنه الشيخ عبداللطيف[٣٦]، الذي كانت تجمعه صداقة مع الشيخ أبي بكر ومن المقربين إليه، فلما استأذن الشيخ بالرحيل إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج، وفي أثناء وداع الإمام فيصل أعطى الشيخ صرة حمراء قبلها منه، وعندما بلغ الشيخ مكة المكرمة وأدى مناسك الحج، مرض الشيخ أبو بكر مرضًا شديدًا، وفي أثناء مرضه فتح تلك الصرة، فوجد فيها مبلغًا كبيرًا من المال قدره (٣٠٠) ريال فرانسي[٣٧]، فأخبر ابنه عبدالله وأوصاه بأن هذه الصرة هي أمانة يجب عليه أن

(٣٦) هو العلامة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ولد في الدرعية سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م، فنشأ أول ما نشأ بها وقرأ القرآن في صغره، نقل إلى مصر بعد سقوط الدرعية وعمره ثماني سنوات في معية والده الشيخ عبدالرحمن بن حسن سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م، درس العلم على يد علماء نجديين ومصريين، منهم والده وابن عمه وخاله الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ عبدالله آل الشيخ، والعلامة محمد بن محمود الجزائري الحنفي، والشيخ إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر في حينه وغيرهم، عاد إلى الرياض سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م، وأرسله الإمام فيصل إلى الأحساء، وأقام بها سنتين وتحاور خلالها مع علمائها، وقد اتصف بسعة العلم والفضل وقوة الشخصية والحجة، وتتلمذ على يديه خلق كثير، وله عدة مؤلفات، توفي رحمه الله سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م. انظر: آل الشيخ، المرجع السابق، ص٩٣-٩٧.

(٣٧) الريال الفرانسي يقصد فيه ريال ماريا تريزا، وهو ما يسمى بدولار ماريا تريزا (Maria Theresa Thaler) وهو مسكوك من الفضة، بقدر حجم قطعة الخمس شلنات الإنجليزية، ويعادل شلنًا إنجليزيًا، وقد استخدم قديمًا في مناطق كثيرة من العالم، منها الجزيرة العربية بمناطقها المختلفة. انظر: عبدالفتاح حسن أبوعلية، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٦هـ، ص ٣٧٥-٣٧٦.

يرجعها إلى الإمام فيصل بن تركي، بعد ذلك توفي الشيخ في ٢٩ ربيع الأول ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م، وفي طريق عودة ابنه عبدالله إلى الأحساء، التقى في الرياض بالإمام فيصل، الذي سأل عن والده الشيخ أبي بكر، فأخبره بوفاته، عندها ترحم عليه الإمام ودعا له بالمغفرة، وعندما عزم الشيخ عبدالله السفر من الرياض إلى الأحساء أراد أن يودّع الإمام فيصل بن تركي، فقام بزيارته في قصره، وبعد السلام عليه أخبره بأن عنده أمانة له من والده المتوفى، فرد عليه الإمام فيصل بأن هذه هدية لوالدك، وخذها أنت، ووالله إن هذا المال ليس من بيت مال المسلمين، وإنما هو من إرث والدتي، فأجابه الشيخ عبدالله بأن هديتك رعاك الله مقبولة، ولكني عاهدت نفسي بأن أفعل مثلما فعل والدي، فوالدي لم يأخذها وكذلك أنا، عندها وافقه الإمام فيصل على فعله، ودعا له بالتوفيق في سفره"(٣٨).

ويظهر لنا مما سبق ذكره ما ذهب الباحث إليه، من حرص الإمام فيصل بن تركي وعنايته بالعلماء، والتي يمكن أن يذكر منها إكرامه للعلماء عامة بدون تفرقة بين مذاهبهم، وكذا تلمسه لاحتياجاتهم، وحتى لو لم يظهروا الحاجة فهو كسب وتودد للعلماء على اختلاف مذاهبهم الفقهية. إضافة إلى اختياره من يراه الأفضل والأنسب من حيث الأهلية العلمية لتولي منصب القضاء، وتولي الشؤون الدينية والشرعية في الأحساء من أهلها، وهو بحد ذاته بعد في النظر وحصافة

(٣٨) مقابلة شخصية مع الشيخ محمد بن أحمد الملا، يوم الإثنين الموافق ١٤٣١/١١/١٦هـ.

منه في التعامل مع بلد مثل الأحساء، لها عمق علمي وتاريخي واسع وكبير وتنوع مذهبي متعدد.

كما يظهر التعامل الأبوي للإمام فيصل مع الشيخ عبدالله ابن الشيخ أبو بكر الملا، عندما وافق على فعله ولم يصر عليه بقبول الهدية أو غضب منه، مما يدل على حسن خُلقه مع رعاياه وحنوه عليهم. كذلك ورع الإمام فيصل وتنزهه عن أموال الدولة، حيث أعطى الشيخ من ماله الخاص الذي ورثه عن والدته، مما يدل على تقواه وورعه.

بناء الإمام فيصل للمساجد والجوامع في الأحساء:

لعل من صور حرص الإمام فيصل بن تركي واهتمامه بالأحساء وبعلمائها، بناءه للمساجد والجوامع، ووقفه الأوقاف وجعل النظارة عليها في أولئك العلماء، وهو بذا يحفظ لهم مكانتهم العلمية وكرامتهم الأدبية، وفي الوقت نفسه يدعم دور المساجد والجوامع بصفتها، من أهم مراكز العبادة وتلقي العلوم الشرعية، فعلى سبيل المثال، دعا العالم الشيخ محمد بن عبدالله العبدالقادر الشافعي للقدوم إليه في الرياض سنة ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م، وإقامته عنده معززًا مكرمًا مدة ثلاثة شهور، كان خلالها يحضر مجلس الإمام فيصل مع المشايخ والعلماء في قصر الحكم، وعندما أذن له الإمام بالعودة إلى الأحساء، طلب منه الإمام أن يطلب ما يريد له ولأولاده من بعده، فأجابه الشيخ شاكرًا بأنه لا حاجة له من حوائج الدنيا، إلا حاجة واحدة يطلبها منه لتكون ذخرًا له ولوالديه على مر الزمان، وهي أن يبني مسجدًا جامعًا

كبيرًا يقضي على تشتت أهالي بلدة المبرز في صلاتهم يوم الجمعة في مساجد صغيرة متعددة، فرحب الإمام فيصل بذلك، واشترط على الشيخ أن يكون هو الإمام والخطيب، ومن بعده أبناؤه(٣٩). وكتب في ذلك كتابًا أوقف فيه عددًا من عقاراته الزراعية في الأحساء من مزارع النخيل والأرز، على الشيخ العبدالقادر وعلى ذريته من بعده، حيث نصت الوقفية على ما يلي: "الحمد لله الذي وفق من اختاره لطاعته واجتباه وشرح صدر من توجه إليه ولاذ بحماه ونوَّر بنور الإيمان قلب المعاند فجد فيما يحبه ويرضاه وجعل حرصه ومنافسته فيما قربه إليه وأدناه، أحمده حمدًا لائقًا بجلاله، وشكرًا على جزيل بره ونواله، وأشهد أن لا إله إلا الله، ولا معبود سواه المتعالي في عزه وكماله، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الداعي إلى الصراط المستقيم والمرشد إلى ما يوصل إلى جنات النعيم وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين، وبعد فلما كان بناء المساجد من أفضل القربات وأسنى المبرات عظم الله شأنها في كتابه فقال عز من قائل: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦] الآية، ورغب فيها رسوله ﷺ، فقال: (من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتًا في الجنة)(٤٠)، رغب الموفق للخير - إن شاء الله - الجاد في مرضاة الله، الأجل الأكرم والأسعد الإمام فيصل بن تركي السعود أدام الله عزه

(٣٩) السبيعي، القضاء والأوقاف، ٥/ ١٦٥.

(٤٠) هذا الحديث برواية الصحابي الجليل جندب بن عبدالله رضي الله عنه، وأخرجه ابن حبان في صحيحه.

وسلطانه، ونصره على من ناواه وأيده وأعانه، وأمده بالتوفيق وفرج عنه كل كرب وضيق، ولا زالت ألويته مقرونة بالنصر والسعادة، وعمره مصحوبًا بالعافية والصحة والزيادة، فبنى حرسه الله تعالى ومكّن له في البلاد، وقذف له المحبة في قلوب العباد، المسجد الجامع الكائن في وسط المبرّز[٤١]، الذي جمع الله به شمل المسلمين، وصحت به جمعتهم، بلا خلاف بين الأئمة المجتهدين، وعَمَره أتم العمارة، وأوسع مرافقه، وجعله قرة عين للناظرين، أقر الله عينه برؤية وجهه الكريم في جنات النعيم. ثم لما أكمل بناه على الوجه المطلوب علم - حرسه الله تعالى - أن لا بقاء له إلا بوقف يجدد ما دمر منه، ويقوم بكُلَفِهِ وما يحتاج إليه، فأوقف وحبّس وأبّد ما هو تحت ولايته وسلطنته وذلك جميع وجملة العقارات المسميات أبا الفِقَر، والخاسرية، والمبادرية، وأبي حصان، والبرّية، والمحرق والكتانية، وزعيفرين، والوصيطا[٤٢]، جميع ذلك الكائن بطرف الجفر[٤٣] ساقية الدوغاني

(٤١) تقع المبرز شمال مدينة الهفوف، وتعد ثاني أكبر مدن الأحساء حاليًا، والسبب في تسميتها بالمبرز، يرجع إلى أن معظم القوافل الخارجة من الأحساء كانت تبرز وتتجمع في الموقع الذي عليه المدينة، وذلك استعدادًا للسفر نحو جهتها. انظر: ف. ش. فيدال، واحة الأحساء، ترجمة عبدالله بن ناصر السبيعي، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، الخبر ١٤١٠هـ، ص١٣٥-١٣٦.

(٤٢) لا زالت هذه الأماكن تحمل ذات الاسم والحدود نفسها حتى وقتنا الحاضر، وذلك حسب ما ذكر لي المهندس صالح بن عبدالمحسن العبدالقادر.

(٤٣) الجفر هي إحدى القرى الواقعة في جنوب شرق الأحساء، وكانت محطة قديمة للقوافل التجارية في الطريق الواصل بين ميناء =

والحيادي والجامو[٤٤]، والغني جميع ذلك بالشهرة لدى مجاويره عن التحديد... لذلك كله من حد وحق وتابع ولاحق الأرض والنخل والماء ومجراه ومرماه والطريق مع ربع يوم الخميس الثاني من الدوغاني والحيادي أوقف حرسه الله تعالى وحفظه جميع هذه العقارات مع الربع المذكور على المسجد المزبور، وشرط أن يبدأ أولاً بعمارة العقارات المذكورة ثم بعمارة ما دثر وخرب من المسجد والميضآت ثم القيام بالوظايف وعين للمؤذن والمقيم ستة أمنان[٤٥] وجاذب الماء من البير لوضوء المصلين وغسلهم ستة أمنان وللدلاء والأرشية منّ، ومنّين للماء الموضوع في المسجد للشرب من

= العقير والهفوف، وتبعد عنها ١٥كيلومترًا، وأما الآن فهي إحدى مدن الأحساء النابضة بالتطور والازدهار. انظر: عبدالله حمد المطلق، الأحساء، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ١٤٢٤هـ، ص٤٥-٤٦.

(٤٤) الدوغاني والحيادي هما تفرعان لنهر سليسل القديم والمتجه نحو شرق الهفوف، حيث يسمى أولهما؛ بالدوغاني ويأخذ ثلث الماء من النهر المذكور، ويمر بقرية بني معن، وقرية الشهارين، وقرية المنيزلة حتى يصل إلى الجسيم، ثم يتفرع منه مجرى مائي آخر يسمى الحيادي، ويستمر الدوغاني بالجريان حتى يصل قريتي الجفر والجشة، ولكن بعد مرور المنطقة بحالات الجفاف والحفر العشوائي للآبار المياه في المنطقة أصبحا أثرًا بعد عين، ولم يبقَ منهما سوى الاسم والرسم. انظر: العبدالقادر، المرجع السابق، ص٤٧. والجامو هي تصحيف للجُمال، وهي إحدى السواقي المشهورة في الجفر.

(٤٥) أمنان: ومفردها منّ، والمنّ وحدة وزن خاصة بكيل التمور، وقد عرفت واستخدمت منذ القدم في الأحساء، ويعادل المن نحو أربع من القلال، ومجموعها مائتان وأربعون كيلاً من التمر. انظر: أبوعلية، المرجع السابق، ص٣٨٢. محمد بن أحمد الدوغان، معجم البيئة الزراعية لواحة الأحساء، مركز الترجمة والتأليف والنشر، جامعة الملك فيصل، الأحساء، ١٤٢٩هـ، ص١٩٧.

الحارّة[٤٦]، وجراره وهو أربع جرار كل يوم في الشتاء، وثمان في الصيف، وعشرين كل يوم جمعة واثنا عشر كل يوم من رمضان، ومنين للسّراج، وثمانية أمنان للحصر، ومنّين لمن يلازم المسجد لغلق أبوابه وقمّه وفرش حصره مع المؤذن والزعاب، ومنّ وربع رطب... كل ليلة في رمضان ... شيء مما عين لوظيفة من هذي الوظائف عن استكمالها ما يقوم بها أو زاد شيء منها على وظيفته واستغني عنه سقط ما يقابله، وما بقي فللإمام، وجعل - حفظه الله ورفع من شأنه - الإمامة والنظارة على الأوقاف المذكورة للشيخ محمد بن عبدالله بن عبدالقادر، ثم الصالح من أولاده ولأولاد أولاده ما بقوا وتناسلوا بطنًا بعد بطن، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، وليس لحاكم ولا لقاضي ولا قريب ولا بعيد أن يعترض عليهم في شيء من العقارات المذكورة... ماداموا صالحين لذالك فمن غيّر عليهم في شيء عرفه فالله حسيبه ومجازيه ومثواه جهنم وبئس المصير، فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم، وقع وحرر ثامن ربيع أول سنة إحدى وسبعين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية"[٤٧].

(٤٦) الحارة يقصد بها هنا عين الحارة، وهي نبع ماء عذب وحار، يقع شمال شرق مدينة المبرز القديمة، وكان يخرج منه نهر في اتجاه الشرق، ويتفرع منه عدة فروع تسقي الجهة الشرقية من المبرز. انظر: العبدالقادر، المرجع السابق، ص٤٨.

(٤٧) وثيقة محلية غير منشورة، وهي وقفية جامع الإمام فيصل بن تركي في مدينة المبرز الموقوفة على الشيخ عبدالله بن محمد العبدالقادر وذريته من بعده، بتاريخ ٨ ربيع الأول ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م، وعليه ختم=

ولقد أمر الإمام فيصل أيضا بتشييد مسجد جامع آخر في مدينة الهفوف، في مكان مسجد الإمام سعود بن عبدالعزيز، الذي كان آيلاً للخراب، ورغبة منه في توسعة مبنى المسجد الجديد اشترى الإمام فيصل البيوت المحيطة به سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م، وحرص على متابعة ذلك الأمر بنفسه وتقديم الدعم المادي اللازم لإنجاز مشروع بناء الجامع، فلما تم الانتهاء من البناء عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م[٤٨]، أرسل برسالة إلى أبناء القاضي الشيخ عبداللطيف بن مبارك أشار فيها صراحة إلى الدعم المادي في حالة احتياج التوسع في البناء، و قال فيها: "من فيصل بن تركي إلى الأبناء الكرام عبدالرحمن[٤٩] وعبدالله[٥٠] أبناء الشيخ عبداللطيف ابن

= الإمام فيصل بن تركي وشهادة كل من الشيخ عبدالرحمن بن حسن، وابنه الشيخ عبداللطيف، وفي طرفها الأيمن تأكيد للوقفية بختم الإمام سعود بن فيصل في سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، وهي تنشر لأول مرة، زودني بها المهندس صالح بن عبدالمحسن العبدالقادر، انظر: الملحق رقم (٣).

(٤٨) لمعرفة المزيد عن الأسباب التي أدت إلى تأخر عملية بناء الجامع، يمكن للقارئ الكريم الرجوع إلى: السبيعي، القضاء والأوقاف، ٥/ ١٦٦-١٧٠.

(٤٩) هو الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن مبارك ولد سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م، تحصل على العلم الشرعي على يد والده الشيخ عبداللطيف وغيره من علماء الأحساء، ثم أقام بالبحرين فولاه شيخها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة القضاء في المحرق في البحرين، توفي سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م. مبارك التميمي، المرجع السابق، ص٦٤.

(٥٠) هو الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن مبارك، ولد سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤ م، ونبغ في العلم الشرعي على مذهب الإمام مالك، وكانت له بعض التحقيقات على أمهات الكتب المالكية، وقد تولى التدريس في =

مبارك سلمهم الله تعالى وعافاهم ووفقنا وإياهم آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وموجب الخط إبلاغكم السلام والخط وصل وصلكم الله إلى خير وما ذكرتو(ذكرتم) صار معلوم خصوص تسمح أمر المسجد ووافق بناه فالله، على ذلك لا نحصي ثناء عليه نرجو أنه خالص صواب، أيضًا تذكرون إن احتجتو(احتجتم) لزود سعه وصارت في ملك عمر بن ناصر فلا بأس اتفقوا عليها انتم والأخ صالح بن راشد تثمن بما تسوى يدفع لصاحبه حقًا تبرا الذمة ويرضى صاحب الأرض...، ٢٠ ربيع الأول ١٢٧٣هـ"[٥١].

وقد أوقف الإمام فيصل بعض عقاراته الزراعية في الأحساء على الشيخ عبدالله ابن القاضي الشيخ عبداللطيف بن مبارك المالكي[٥٢]، وكتبت الوقفية الخاصة بالجامع مرتين، الأولى كانت في عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م، وجددت مرة أخرى في ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، حيث نصت الوقفية على الآتي: "الحمد لله مجزل المثوبات ورافع الدرجات الذي مد فوائد فضله على المتصدقين والمتصدقات ووعدهم بجزيل

= حياة والده وبعد وفاته، وأمَّ المصلين في جامع الإمام فيصل بن تركي بالهفوف، وكان خطيبًا مصقعًا فصيحًا، مع سرعة بديهة وقوة في الحفظ، توفي رحمه الله سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م. مبارك التميمي، المرجع السابق، ص٦٢-٦٣.

(٥١) وثيقة محلية غير منشورة، وهي رسالة الإمام فيصل بن تركي إلى أبناء القاضي الشيخ عبداللطيف بن مبارك المالكي بتاريخ ٢٠ ربيع الأول ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م، زودني بها الشيخ حسن بن عبدالرحمن الحسين، انظر الملحق رقم (٤).

(٥٢) السبيعي، القضاء والأوقاف، ٥/ ١٦٦.

الهبات... أما بعد فإنه لما كان الملك العادل، والنبيل الفاضل، ومن هو عن السنة الغراء يناضل... إمامنا المكرم ومن له الفضل مُسلَّم فيصل بن تركي سيماه وحلاه بناء بيوت الله، وكان قد بنى مسجد الإمام سعود الذي اختطه في خطة النعاثل[٥٣] في الأحساء المحروسة بالله ثم بصارمه الممدود الذي أنقذه الله بعد ذهابه وخرابه، وقد وقفه وحبّسه وأبده على عبدالله ابن الشيخ عبداللطيف أبن الشيخ مبارك، وجعل إمامته، ونظارته، وولايته، والقوام بآلته، والاعتناء بخدمته عليه وإليه، ثم من بعده على بنيه وبني بنيه أو ابني والده على الصالح منهم، ثم بعدهم فعلى الصالح من أبنائهم بطنًا بعد بطن، ونسلاً بعد نسل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وكان المسجد يحتاج إلى وقف يقوم به القيام التام... هذا من أكبر مصالح الأنام الشاملة للخاص والعام ويحصل به للدين القوام... ووقف وابد وحبس وسرمد جميع وجملة العقارين...، وقفه رجاء للمولى وطلبا لمرضاته وابتغاء أعلى درجاته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، فمن بدّل بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم، ومن سعى في تغييره، أو صرفه، أو نزعه فإن الله حسبه وسائله وولي الانتقام منه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، والنخيل الموقوفة المذكورة كلها

(٥٣) حي النعاثل أحد أحياء مدينة الهفوف القديمة والمنسوبة إلى بطن من بني عقيل يسمون النعاثل، الواقعة في الطرف الجنوبي الغربي من المدينة، ويقع فيه جامع الإمام فيصل بن تركي، الذي يعد أكبر مسجد في شرق الجزيرة العربية يومئذ. انظر: العبدالقادر، المرجع السابق، ص٣٢. وفيدال، المرجع السابق، ص١١٨.

مزارع عيش أرز.. وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه. حرر في سابع عشر من شهر ربيع الأول سنة التاسعة والسبعين ومائتين وألف"[٥٤]. ولم يكتفِ الإمام فيصل ببناء المساجد والجوامع فقط، بل حرص على تعيين وإقرار الرجل المناسب لإمامة المساجد والجوامع، وذلك بعد مشاورة القضاة في البلد، ثم يمضي ما أمضوه في هذا الشأن، فلقد أشارت إحدى الوثائق المحلية إلى مثل ذلك[٥٥].

ويتضح من سياق الأحداث أن الإمام فيصل بن تركي بنى جامعين في الأحساء على نفقته الخاصة، ونصب فيهما إمامين، أحدهما على مذهب الإمام مالك - رحمه الله -، والآخر على مذهب الإمام الشافعي - رحمه الله -، بل وأوقف عليهما وعلى ذريتهما من بعدهما، وحرص على اختيار الرجل المناسب للإمامة في المساجد والجوامع، وهو دليل على الانفتاح الذي كان يتحلى به الإمام فيصل على شتى المذاهب دون استثناء، وهي إشارة إلى فهمه العميق لطبيعة المنطقة من الناحية العلمية والمذهبية، وعلى بعد في النظر في التعامل مع المخالفين وتحجيم فجوة الخلاف بينهما.

(٥٤) السبيعي، القضاء والأوقاف، ٥/ ١٧١-١٧٥.

(٥٥) وثيقة تاريخية محلية غير منشورة، وهي رسالة موجهة من الإمام فيصل بن تركي إلى الشيخ عبداللطيف بن مبارك قاضي الأحساء، بشأن الموافقة على تعيين أحد أئمة المساجد، تاريخ غير واضح من سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، انظر: الملحق رقم (٥).

دعم الإمام فيصل بن تركي للحياة العلمية في الأحساء:

أشرت سابقًا إلى أن المذاهب الفقهية المختلفة كانت تنتشر في الأحساء، ولكل مذهب من المذاهب المعتبرة فيها مدارسه الخاصة، وعلماؤه، وطلابه، فحرص الإمام فيصل على استمرارية تلك المنظومة العلمية الرائدة في الأحساء، فدعم بقاءها لتقوم بمهامها العلمية على النحو المطلوب لخدمة المجتمع بنشر العلم ومحاربة الجهل، ولم يُغلّب مذهبًا على آخر، بل دعمها وعاملها بالسوية، فعلى سبيل المثال؛ فإن المذهب الحنفي وهو من المذاهب الأربعة الموجودة قديمًا في الأحساء، قد ازدادت العناية به مع قدوم العثمانيين منذ منتصف القرن العاشر الهجري بشكل كبير، وأصبح ينال اهتمام الولاة العثمانيين في الأحساء، كما كان لوجود أسرة الملا الحنفية المذهب دور كبير في ازدهار المذهب في الأحساء وجوارها والمحافظة عليه، حيث أسهم علماؤها على مدى الخمسة القرون الماضية في التدريس والتأليف والتعليم في مدارسه المختلفة(٥٦)، من أمثال العلامة الشيخ محمد الواعظ الملا الحنفي، وهو من أعيان القرن العاشر الهجري(٥٧)،

(٥٦) عبدالله بن عبدالرحمن الملا، وسيلة الظفر في المسائل التي يفتى فيها بقول زفر، تحقيق: عبدالإله محمد الملا، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٢هـ، ص ٢٣-٢٤.

(٥٧) هو الشيخ محمد بن علي بن حسين الواعظ الملا، ولد في الأحساء أواخر الستينيات من القرن العاشر الهجري، وينسب إليه بيت الواعظ الملا، أخذ العلم عن والده وعن علماء عصره، تولى التدريس والإفتاء في مدرسة علي باشا قرابة أكثر من ثلاثين سنة، توفي سنة ١٠٥١هـ/ ١٦٤١م. انظر: العصفور، المرجع السابق، ١/ ٢٨٥.

والعلامة الشيخ إبراهيم الملا المفتي الحنفي[٥٨] وهو من أعيان القرن الحادي عشر الهجري، والشيخ محمد الملا الحنفي[٥٩]، والشيخ أبو بكر الملا الحنفي، المعاصر لفترة حكم الإمام فيصل بن تركي - كما ذكرنا سابقًا-، والذي كانت له صلات ومراسلات مع الإمام فيصل، واستمرت تلك الصلات في أبنائه من بعده، ولعل في رسالة الإمام فيصل بن تركي إلى الشيخ عبدالله بن أبي بكر الملا الحنفي دليلاً على

(٥٨) هو الشيخ إبراهيم بن حسن الملا الأحسائي، من أكابر العلماء العاملين، كان فقيهًا نحويًا مفتيًا في علوم كثيرة، قرأ بالأحساء على شيوخ عصره وأخذ بمكة المكرمة عن مفتيها عبدالرحمن المرشدي، وأجازه إجازة حافلة، وله مؤلفات كثيرة في فنون عديدة، توفي في بلده الأحساء. مصطفى بن فتح الله الحموي، فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر، تحقيق عبدالله محمد الكندري، دار النوادر، دمشق، ٢٠١١م، ٣/ ٩٢- ٩٣.

(٥٩) هو الشيخ محمد بن عبدالرحيم بن إبراهيم بن حسن الملا، عالم وفقيه حنفي، درس العلم على والده وعلماء بلده، مثل الشيخ محمد بن عثمان بن جلال الشافعي الأحسائي، والشيخ عبدالرحمن بن محمد بن علي الواعظ، وغيرهم وأخذ العلم من علماء الحرمين الشريفين، مثل السيد علي بن محمد بن سيد الناس، والشيخ محمد فروخ، والشيخ محمد بن محمد بن سليمان المغربي، وغيرهم، وبعد عودته للأحساء تصدر للتدريس والفتوى، وانتفع بعلمه خلق كثير، وتخرج على يديه جماعة من العلماء. له عدد من المؤلفات منها؛ شرح تحفة المبتدي، ومفتاح باب القرب شرح آداب الأكل والشرب، والجوهر الثمين شرح أم البراهين، والفواتح الوفية شرح منظومة العمريطية في النحو، ومنار الإرادة في سلوك طريق السادة، وغيرها، ولازال بعضها مخطوطًا، توفي سنة ١١٠٠هـ/ ١٦٨٩م. محمد بن عبدالرحيم بن إبراهيم بن حسن الملا الأحسائي، مسك قلادة العقيان في شرح منظومة شعب الإيمان، تحقيق يحيى بن محمد بن أبي بكر الملا، المدرسة الشرعية الحنفية، د. م، ٢٠٠٨م، ص٦ -١١.

ما ذهبنا إليه من دعم الإمام واهتمامه، والتي جاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم، من فيصل بن تركي إلى الأخ المكرم عبدالله بن أبي بكر الملا سلمه الله تعالى وعافاه آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وموجب الخط إبلاغك السلام والسؤال عن حالك والخطوط وصلت، وصلك الله إلى خير، وما ذكرت كان معلوم خصوصًا من حال للجرا[٦٠]، فهذا خطنا لصالح[٦١] واصلك تشرف عليه ويجري لكم إن شاء لله المعتاد، كذلك من حال عيال الشيخ ابن عبداللطيف كتبنا لهم جواب خطهم أنهم يجرون[٦٢] مكرمة أبيهم رحمه الله، وسلم لنا على من لديك من الأبناء والإخوان والمشايخ، ومن لدينا الأبناء والأخوان والمشايخ ينهونك السلام. الختم"[٦٣].

ومن خلال استعراض الرسالة السابقة نجد أنها أظهرت للقارئ بجلاء صورة من الدعم المعنوي والمادي من لدن الإمام فيصل بن تركي لبعض العلماء في الأحساء، وذلك من خلال

(٦٠) للجرا، يظهر لي من السياق أن المقصود بذلك ما كان يجريه الإمام فيصل على الشيخ المذكور من أعطيات مالية بصفة سنوية وذلك حسب ما يفهم من فحوى الرسالة.

(٦١) صالح، يظهر لي أن المقصود به هو صالح بن راشد وكيل الإمام فيصل في الأحساء الذي سبقت الإشارة إليه.

(٦٢) يجرون: أي يمضون عليهم مكرمة أبيهم كما كان في السابق.

(٦٣) وثيقة تاريخية محلية غير منشورة، وهي رسالة من الإمام فيصل بن تركي إلى الشيخ عبدالله بن أبي بكر الملا الحنفي، غير مؤرخة ولكن من خلال أحداثها يمكننا أن نحدد بأن تاريخها جاء إما في نهاية شهر رجب أو بعده من سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م، وذلك استنادًا للوثيقة التالية في البحث، زودني بها الشيخ عبدالرحمن بن أحمد العبداللطيف، انظر: الملحق رقم (٦).

إجرائه الأعطيات المالية السنوية، كالشيخ عبدالله بن أبي بكر الملا الحنفي، وطلب الإمام منه مراجعة وكيله ومسؤول بيت المال في الأحساء صالح بن راشد. وإخبار الإمام فيصل للشيخ عبدالله الملا الحنفي عن أوضاع أبناء الشيخ ابن عبداللطيف الشافعي ومدرسة والدهم، وأنه أرسل إليهم برسالة، والتي سنتطرق لذكرها لاحقًا.

وأسوق هنا مثالاً آخر تأكيدًا للدعم الذي تلقته الحياة العلمية في الأحساء بشتى مذاهبها الفقهية، فمذهب الإمام الشافعي - رحمه الله - من المذاهب الأخرى البارزة في الأحساء منذ بدايات القرن الرابع الهجري، وله مدارسه الخاصة، التي تعنى بها بعض الأسر العلمية(٦٤)، كأسرة آل عبداللطيف الأحسائية(٦٥)، والتي تعد إحدى أبرز الأسر العلمية الشافعية، التي أنجبت وخرجت علماء بارزين في المذهب الشافعي، أسهموا بدورهم في دعم الحياة العلمية بالتدريس، والتأليف، وإمامة المساجد، والوعظ والإرشاد في الأحساء على مر القرون؛ من أمثال: العلامة الشيخ محمد بن ناصر ابن خلف بن هلال الشافعي، وهو من أعيان القرن العاشر الهجري، الذي وسمته الوثائق المحلية بالعلامة لسعة

(٦٤) عبدالإله حسين العرفج، نبذة مختصرة عن المذهب الشافعي في الأحساء، د. ت، د. ن، ص٣-٥. عبدالله الملا، المرجع السابق، ص ٢٤-٢٥.

(٦٥) ترجع أسرة آل عبداللطيف في أصولها إلى بني هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. انظر: العبدالقادر، المرجع السابق، ص٣٢.

علمه وفضله[٦٦]، والمفتي الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن ناصر الشافعي، من أعيان القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين[٦٧]، والشيخ عبداللطيف بن محمد بن ناصر الشافعي[٦٨]، الذي تسمت به الأسرة، والشيخ عبدالله بن محمد بن الشيخ عبداللطيف، الملقب بـ (الشافعي الصغير)[٦٩]، وهو الذي قصده الشيخ محمد بن عبدالوهاب

(٦٦) وثيقة محلية غير منشورة، وهي عقد مبايعة للشيخ العلامة محمد بن ناصر بن خلف بن هلال الشافعي وبإمضاء قاضي الأحساء الشيخ إبراهيم بن محمد اليمني، بتاريخ ٢٤جمادى الأولى ٩٧١هـ/١٥٦٣م، زودني بها الشيخ عبدالرحمن بن أحمد العبداللطيف، انظر: الملحق رقم (٧).

(٦٧) هو الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن ناصر بن خلف الشافعي، ولد ونشأ بالأحساء، أخذ العلم عن والده والشيخ محمد بن عثمان وعلماء الحرمين الشريفين وغيرهم، وكان يعد علامة وقته وزمانه، ومفتي الديار الأحسائية والنجدية، تتلمذ على يديه كثير من طلاب العلم من الأحساء ومن خارجها، وله مؤلفات عدة، توفي سنة ١١٢٠هـ/ ١٧٠٧م. العصفور، المرجع السابق، ١/ ٣٩٨.

(٦٨) هو الشيخ عبداللطيف بن محمد بن ناصر بن خلف الشافعي، كان من أبرز علماء الشافعية في عصره، نشأ في كنف والده العلامة الشيخ محمد بن ناصر، وأخذ العلم عنه ولازم الشيخ محمد بن عثمان والشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن ناصر الشافعي تولى القضاء والإفتاء في الأحساء مدة من الزمن، وتوفي سنة ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م تقريبًا. العصفور، المرجع السابق، ١/ ٤١٤.

(٦٩) هو الشيخ عبدالله بن محمد بن الشيخ عبداللطيف بن محمد بن ناصر بن خلف الشافعي، ولد في مطلع القرن الثاني عشر الهجري تقريبًا، ونشأ في أحضان والده وجده في بيت علم جم وأدب رفيع، وتتلمذ عليهما وعلى الشيخ عبدالله بن سالم البصري الشافعي وغيرهم من العلماء، وقد بلغ شأنًا عظيمًا في العلم فشاع ذكره وذاع صيته في البلدان حتى أصبح مقصدًا لطلاب العلم، أبرز طلابه =

في مرحلة الطلب، ونزل عنده فترة من الزمن، وأخذ العلم عنه، وكان يتدارس معه التفسير والحديث[٧٠]، ومنها كذلك العالم الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الشافعي، من أعيان القرن الثالث عشر الهجري[٧١]، وهو الذي أرسل الإمام فيصل بن تركي برسالته الجوابية إلى أبنائه الشيخ محمد وأحمد[٧٢]، والتي أرخت في ٢١رجب ١٢٧٨هـ/١٨٦١م، معزيًا إياهم في والدهم. وفيما يلي نص الرسالة: "بسم الله الرحمن الرحيم، من فيصل بن تركي إلى الأولاد محمد

= الشيخ أحمد بن عبدالله آل عبدالقادر مستشار زعماء بني خالد، والشيخ عيسى بن مطلق المالكي والشيخ محمد بن عبدالله بن فيروز والشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله جميعًا، ولقد تميز بسيرة عطرة وتولى القضاء في الأحساء سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٧م، وقد ترك وراءه مجموعة من المصنفات العلمية من أبرزها حاشيته على صحيح الإمام البخاري، توفي سنة ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م. عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الشافعي، الكلام الجامع على الحكم والشرط والسبب والمانع، علي بن سعد الضويحي، دار الذخائر، الدمام، ١٤١٤هـ، ص١١-١٨.

(٧٠) العرفج، المرجع السابق، ص١١-١٢.

(٧١) هو الشيخ عبدالله بن محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عبداللطيف، تتلمذ على علماء عصره في بلده من أمثال الشيخ أبي بكر بن محمد الملا الحنفي، حيث نص على اسمه في ترجمة الشيخ أبي بكر على أنه من تلاميذه: "ومنهم الفاضل من تردى بالفضائل وتحلى بأحسن الخصائل والشمائل ذو التواضع سلالة الأماثل الذين ورثوا المجد والعلم الشريف الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبداللطيف"، ومن خلال وثيقة الرسالة يبدو لنا أنه كان مدرسًا في المدرسة التي تحمل اسم مدرسة العبداللطيف، وأنه توفي سنة ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م. انظر: وثيقة الرسالة في الملحق رقم (٩)، وعبدالله الملا، بغية السائلين، ص٩.

(٧٢) لم أجد لهما ترجمة.

وأحمد ابني الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف سلمهم الله تعالى وعافاهم آمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وموجب الخط إبلاغكم السلام والسؤال عن حالكم أحال الله عنا وعنكم كل سوء ومكروه ونخبركم أنا من فضل الله بخير وعافية أوزعنا الله وإياكم شكر نعمه، والخط[٧٣] وصل وصلكم الله إلى خير، وما ذكرتم كان معلومًا خصوصًا انتقال والدكم من دار الفناء إلى دار البقاء، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وهذا مآل الدنيا نرجو أن الله يحسن عزاكم فيه، وأن يتغمده برحمته ويجعلنا وإياكم راضين بقضاه، ومن حال العوض فيه فلا يعوض في المصايب إلا المولى جل جلاله، وحنا إن شاء الله عوضكم فيه، فالذي نوصيكم به تقوى الله والتماس مرضاته في السر والعلانية، وحض الناس لتعليمهم أصل التوحيد، ونشر ما علمكم الله فلا والله لا ننال عز الدنيا والآخرة إلا بذلك، كذلك من حال تقريركم في المدرسة[٧٤] فواصلكم ورقة فيها التقرير[٧٥]، وإياكم وهجرها نرجو الله

(٧٣) يقصد بالخط هنا الرسالة.

(٧٤) المقصود بالمدرسة هنا هي مدرسة آل عبداللطيف، والتي أوصى بها الوجيه المرحوم بإذن الله عبدالرحمن بن راشد على يد مبارك بن خليفة آل فاضل، وهو الذي فوض الأمر ببنائها وابتياع عقاراتها الموقفة عليها، ونصب الناظر عليها وعلى أوقافها الشيخ عبدالله بن أحمد بن عبداللطيف، ومن خلال استقراء روزنامة وقفية المدرسة، أوضحت أنه عيّن التدريس فيها على الصالح من أسرة آل عبداللطيف، وبذا يكون الشيخ عبدالله آل عبداللطيف أحد الذين درسوا فيها. انظر: وثيقة وقفية المدرسة غير المنشورة، بتاريخ ٢٣صفر ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م، في الملحق رقم (٨).

(٧٥) لم يعثر الباحث على ورقة التقرير، فلعل أحد الباحثين مستقبلاً يحصل عليها فتكتمل بذلك الصورة.

أن يوفقنا وإياكم لمراضيه، وسلموا لنا على من لديكم من الإخوان، ومنا الأولاد والإخوان والمشايخ يسلمون عليكم والسلام ٢١ ب ١٢٧٨هـ"[٧٦][٧٧].

ومن خلال قراءتنا لنص الرسالة السابق وإمعان النظر فيها يتبين لنا بعض الملامح المهمة والجديرة بالوقوف عليها، فالرسالة - في الواقع - رسالة أبوية حانية، تحمل في طياتها الكثير من المعاني الإنسانية الراقية في شخصية الإمام فيصل بن تركي رحمه الله، وذلك عند مخاطبته لأبناء الشيخ عبدالله بن محمد آل عبداللطيف بالأولاد، ومواساته لهم في وفاة فقيدهم، وأنه هو عوضهم فيه بعد الله تعالى، وهو بهذا يبين أصول العلاقة السياسية في الإسلام بين الحاكم وشعبه، حيث هم أبناؤه، وهو أبٌ للجميع.

كما بيّن الإمام فيصل لأبناء الشيخ العبداللطيف أن وفاة العالم وفقده، من أكبر المصائب التي قد تمر بالأمة، وأن تعويضه أمرًا ليس باليسير، وهذا دليل على عظم التقدير والاحترام الذي كان يكنه الإمام فيصل للعلم والعلماء، الذين كانوا يمثلون مشاعل النور والهداية للأمة الإسلامية، وأنه بفقد أحدهم تثلم من الإسلام ثلمة.

---

(٧٦) يظهر للباحث أن الفقرة الأخيرة من الرسالة هي إضافة بخط الإمام فيصل بن تركي رحمه الله، وذلك من خلال ما لوحظ من تغير خط نص الرسالة.

(٧٧) وثيقة محلية غير منشورة: وهي رسالة الإمام فيصل بن تركي رحمه الله لأبناء الشيخ عبدالله بن عبداللطيف الأحسائي في ٢١رجب ١٢٧٨هـ/١٨٦١م. زودني بها الشيخ عبدالرحمن بن أحمد العبداللطيف انظر: الملحق رقم (٩).

كما أنه رحمه الله حريص على تتبع أحوال رعيته، واهتمامه الكبير والعناية الفائقة بالعلماء من شتى المذاهب الفقهية المعتبرة، حتى لو لم يكونوا حنابلة المذهب، وهي تعبر عن رؤية متقدمة في المحافظة على نسيج المجتمع وتماسكه بعيدًا عن التعصب المذهبي المقيت، تعكس روح التسامح والانفتاح في شخصية الإمام فيصل.

وتعكس وصية الإمام فيصل، ودعوته لأبناء الشيخ عبدالله العبداللطيف بالتقوى ومرضاة الله تعالى في السر والعلانية، وحثهم على تعليم الناس أصل التوحيد ونشر العلم الشرعي، وتعليم الناس الخير، المنهج الذي سار عليه الأئمة من آل سعود منذ قيام الدولة السعودية الأولى، وهو ما ذكرناه سابقًا.

كما تعكس حرص الإمام فيصل على دعم الحياة العلمية واستمرارها في جميع المدارس والمساجد، كما كانت سابقًا، حيث طلب منهم مواصلة التدريس والتعليم في المدرسة المذكورة، وحثهم على عدم هجرها وتركها، ووعدهم بإرسال تقرير مكتوب منه يؤكد استمرارهم بمواصلة التدريس، بل إقرارهم فيها، ودعواته لهم بالتوفيق.

الخاتمة:

على الرغم من قلة ما توافر للباحث من وثائق محلية، لندرتها وصعوبة الحصول عليها، عن هذا الجانب المشرق من تاريخ الدولة السعودية الثانية، إلا أن الوثائق المتوافرة لدينا، أعطت تصورًا جيدًا ومفيدًا لجانب مهم من حرص الإمام فيصل بن تركي - رحمه الله - ودعمه للحياة العلمية في الأحساء. فقد كشفت هذه الدراسة عن جوانب مهمة في شخصية الإمام فيصل أهملها الباحثون، وحاولت وتسليط الأضواء عليها، وخرجت بنتائج جديدة، وهي في رأينا جديرة بالاهتمام، وجاءت على النحو الآتي:

أولاً: أن حالة استتباب الأمن، وسيادة العدل، والاستقرار السياسي عادت إيجابًا على النواحي العلمية والثقافية في الأحساء وغيرها من مناطق الدولة السعودية الثانية، وأن استتباب الأمن له تأثير كبير في حرية الفكر، وهو داعم أساس في الحياة العلمية في ذلك العصر.

ثانيًا: أن الحياة العلمية في عهد الإمام فيصل شهدت حراكًا علميًا وثقافيًا منفتحًا على شتى المذاهب الفقهية، دون تعصب مذهبي مذموم، وهو ما يعكس سياسة الدولة السعودية الثانية المنفتحة على الجميع مع التمسك بالمبادئ الرئيسة للدعوة الإصلاحية.

ثالثًا: وضوح رؤية الإمام فيصل في رسالته لأهل الأحساء، ودعوته لهم بضرورة التمسك بمبادئ العقيدة

الإسلامية، والالتزام بالدعوة الإصلاحية كمنهج حياة، وحثهم على المحافظة على ذلك.

رابعًا: أن وقف الإمام فيصل، بعض أملاكه في الأحساء على بعض العلماء من الشافعية والمالكية وغيرهم لدليل واضح على ما كان يتمتع به من الأفق الواسع والنظرة الشمولية لأبناء الوطن الواحد وتماسك لحمته الوطنية، والتي تمثل في نظرنا رؤية متقدمة جدًا للإمام فيصل.

خامسًا: الدعم المعنوي والمادي من لدن الإمام فيصل للعلماء في الأحساء، وذلك من خلال إجراء الأعطيات والهبات لهم، وفي ذلك حفظ لكرامة العلماء وتعزيز لمكانتهم الأدبية والاجتماعية.

سادسًا: أن الإمام فيصل أسهم ودعم فكرة الحوار بين أبناء المجتمع في عهده، وذلك عندما أوفد الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، لمحاورة أهل الأحساء، والتناقش معهم فيما يخدم المصلحة العامة وتأليف القلوب والتماسك بين نسيج المجتمع الواحد.

الملاحق

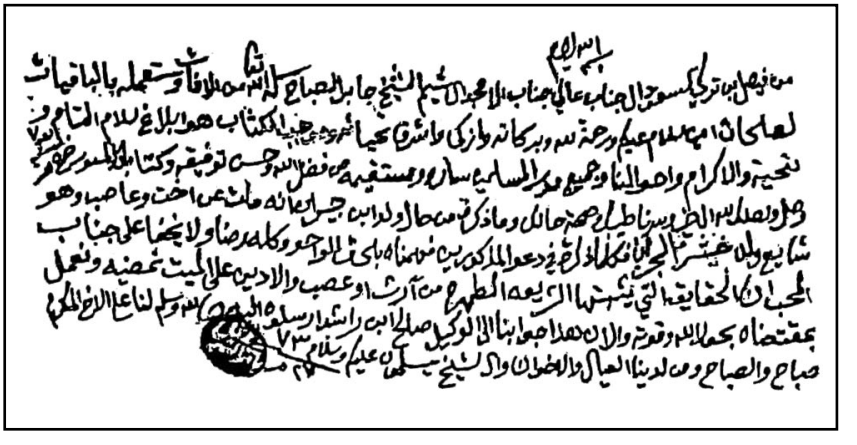

وثيقة رقم (١)

رسالة من الإمام فيصل بن تركي إلى الشيخ جابر الصباح شيخ الكويت

في ٢٧ المحرم ١٢٧٣هـ

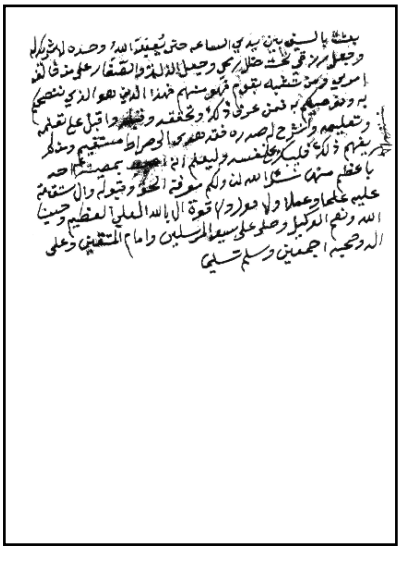

وثيقة رقم (٢)

رسالة الإمام فيصل إلى أهل الأحساء

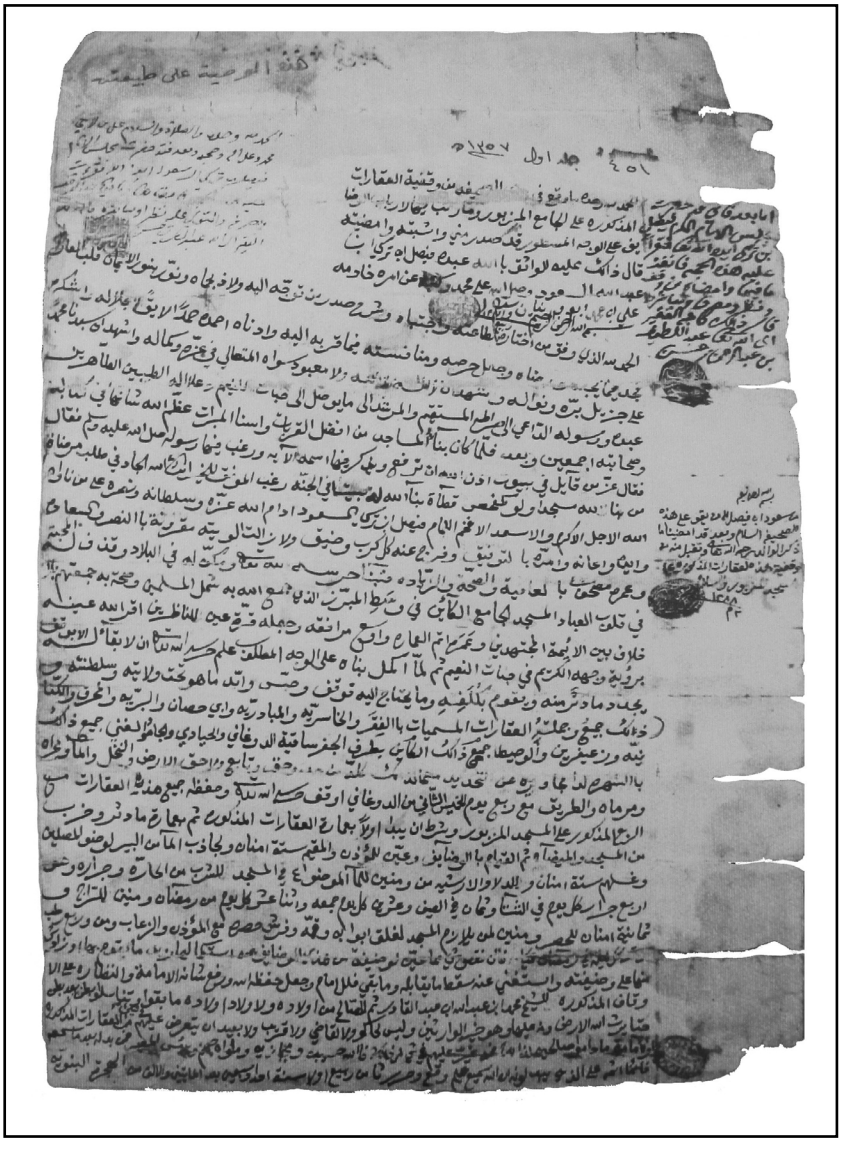

وثيقة رقم (٣)

وقفية الإمام فيصل على جامعه في مدينة المبرز

بتاريخ ٨ ربيع الأول ١٢٧١هـ

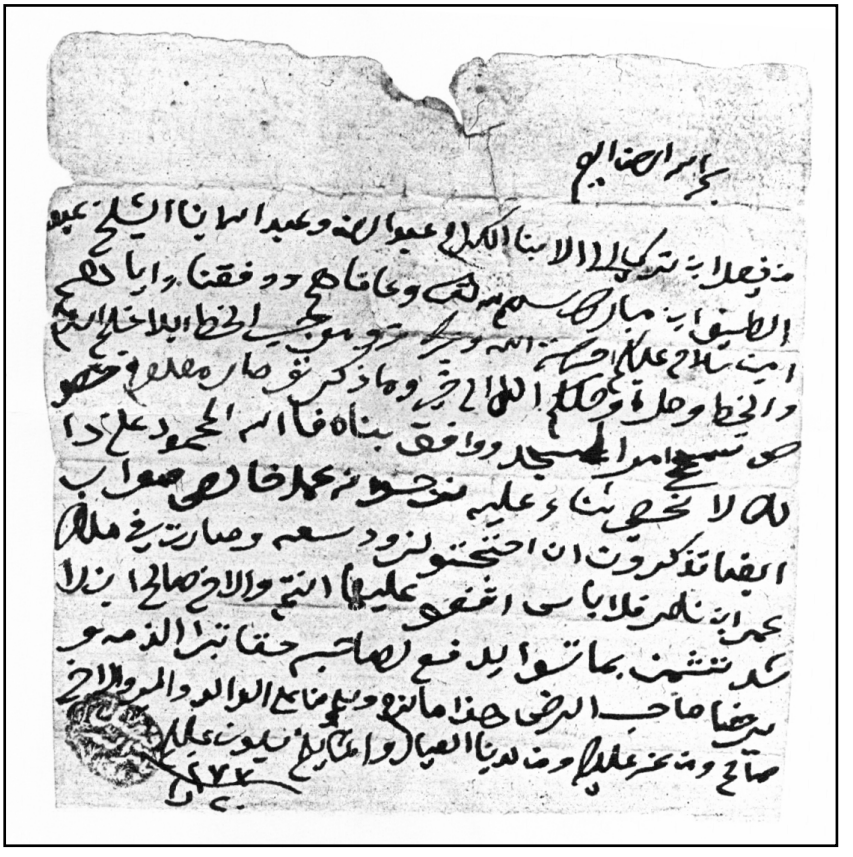

وثيقة رقم (٤)

رسالة الإمام فيصل إلى أبناء القاضي الشيخ عبداللطيف بن مبارك المالكي

بتاريخ ٢٠ ربيع الأول ١٢٧٧هـ

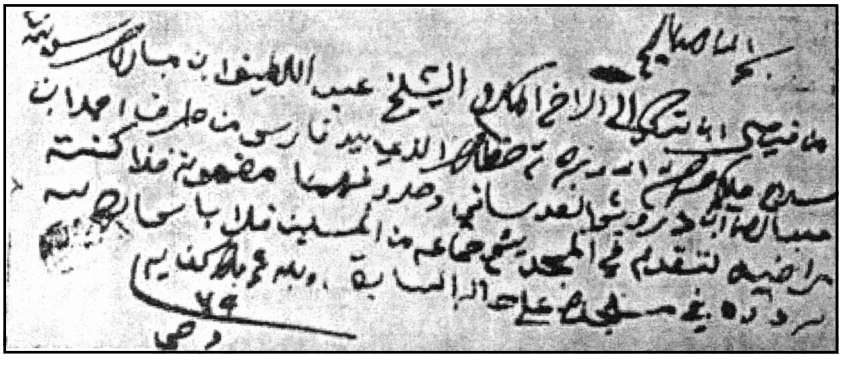

وثيقة رقم (٥)

رسالة الإمام فيصل إلى أبناء الشيخ عبداللطيف بن مبارك المالكي قاضي الأحساء

بتاريخ ٦ صفر ١٢٧٩هـ

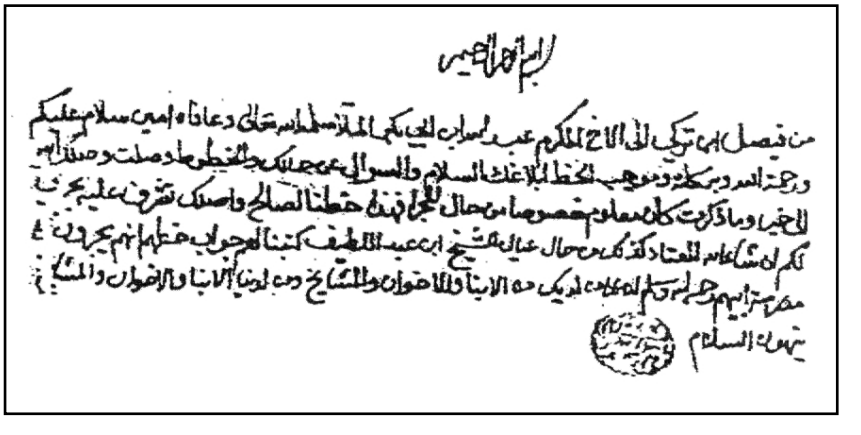

وثيقة رقم (٦)

رسالة الإمام فيصل إلى الشيخ عبدالله بن أبي بكر الملا الحنفي

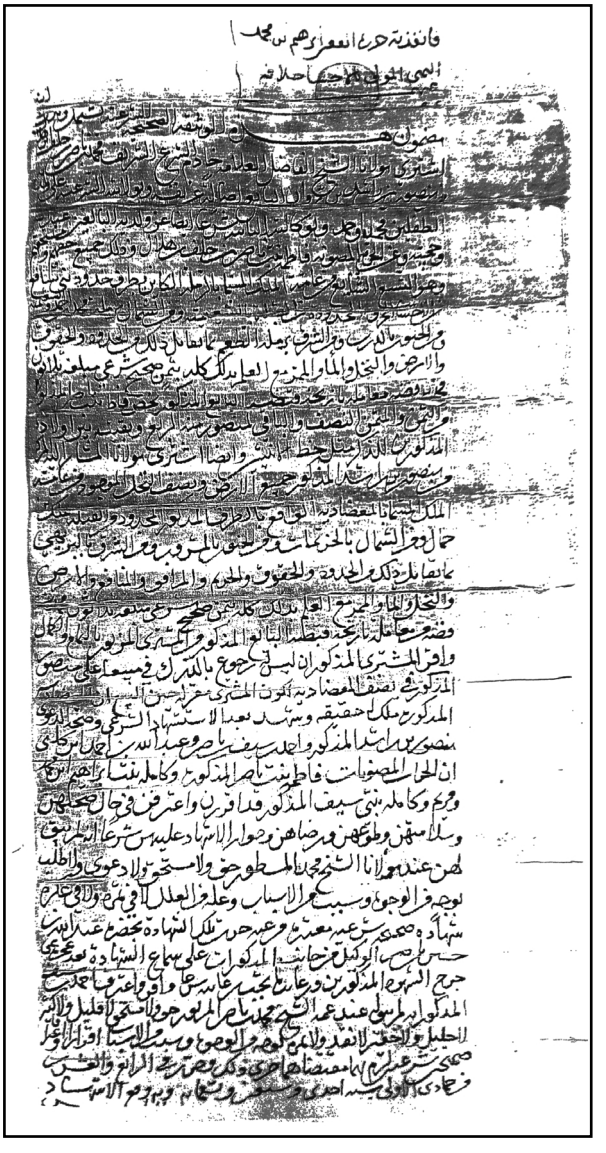

وثيقة رقم (٧)

عقد مبايعة للعلامة الشيخ محمد بن ناصر بن خلف بن هلال الشافعي

وبإمضاء قاضي الأحساء الشيخ إبراهيم بن محمد اليمني

بتاريخ ٢٤ جمادى الأولى ٩٧١هـ

وثيقة رقم (٨)

وقفية مدرسة آل عبداللطيف الشافعية

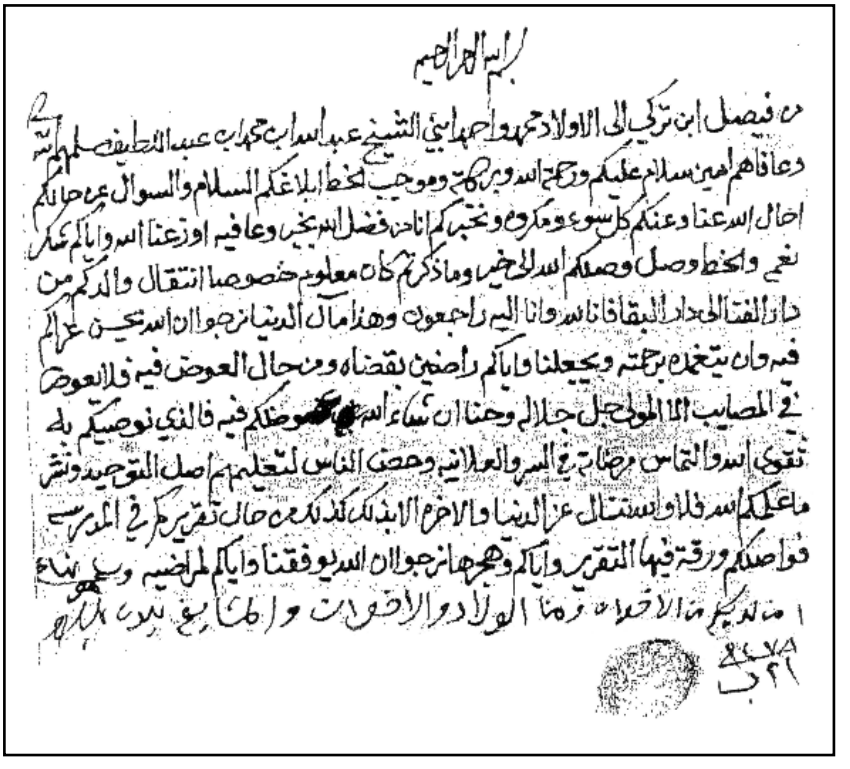

وثيقة رقم (٩)

رسالة الإمام فيصل إلى أبناء الشيخ عبدالله بن عبداللطيف الشافعي

بتاريخ ٢١ رجب ١٢٧٨هـ

نسب آل سعود

تأليف

أ. فائز بن موسى البدراني

أ. راشد بن محمد بن عساكر

١٩٥ صفحة

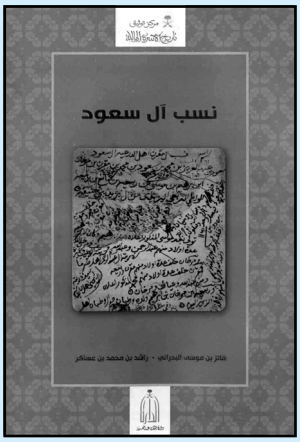

يفصل هذا الكتاب الحديث حول نسب آل سعود، ويشير إلى اختلاف المصادر التاريخية في ذكر نسب هذه الأسرة الكريمة، فمنها مصادر نسبتها إلى بني حنيفة من بني بكر بن وائل، أو إلى بكر بن وائل، أو إلى وائل مباشرة، أو إلى المصاليخ من عنزة، أو إلى عنزة مباشرة، أو إلى غير ربيعة.

ويشير الكتاب إلى القول الراجح في ذلك، وهو نسبة هذه الأسرة إلي بني حنيفة من بكر بن وائل، مؤيدًا هذا القول بعدد كبير من الأدلة القاطعة على ذلك.

إصدارات الملك عبدالعزيز

ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد إلكتروني info@darah.org.sa